Kufa Journal of Arts
June 2025. No. 64, P 226-243
Faculty of Arts, University of Kufa.

مجلة آداب الكوفة
العدد ٦٤، حزيران ٢٠٢٥م، ص ٢٢٦-٢٤٣
كلية الآداب، جامعة الكوفة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

طاعون عام ١٨٣١ وتداعياته على العراق في كتاب رحلة جيمس بيلي فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤

م.م. انعام محمد عبيد
جامعة الكوفة / كلية طب الأسنان
inaamm.aljbry@uokufa.edu.iq

م.د. وسن صاحب عيدان الجبوري
جامعة الكوفة / كلية الآداب
wasans.algburi@uokufa.edu.iq

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٤\٤\٢٠ تاريخ القبــول: ٢٠٢٤\٦\٨ تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٦/١

الملخص:
تعرض العراق خلال العهد العثماني لا سيما خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر إلى موجات من الطاعون الفتاكة بسبب العديد من العوامل أهمها عدم اهتمام الدولة العثمانية التي كان العراق يخضع لسيطرتها بالنظام الصحي ، ولما كانت كتب الرحلات تعد مصدراً مهما لرصد تلك الموجات وعواقبها ، ارتئينا أن نسلط الضوء عليها من خلال كتاب رحلة الرحالة جيمس بيلي فريزر(James Baillie Fraser) إلى بغداد عام ١٨٣٤ لقرب رحلته من وقوع موجات طاعون عام ١٨٣١ فضلاً عن طاعون ١٨٣٢ و١٨٣٤ ، فشهد اثاره على العراق وعمد على تسجيلها في طيات كتاباه **" رحلات في كردستان و بلاد ما بين النهرين "** الذي تمت ترجمته للعربيه منها كتاب **"رحلة جيمس بيلي فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤"** التي خص فيها المترجم ترجمة ما شمل الكتاب على مشاهدات فريزرعن العراق فقط والتي شغل فيها اثر طاعون عام ١٨٣٤ حيز مهم اذ ضم معلومات تفصيلية عن الموضوع تستحق التفرد في دراستها .

الكلمات المفتاحية: جيمس بيلي فريزر , الطاعون ، العراق ، رحلة ، كتاب .

The plague of 1831 and its repercussions on Iraq in the book James Baillie Fraser's Journey to Baghdad in 1834

Enaan Mohammed Obaid
University of Kufa Faculty of Dentistry

Wasans Sahib Aidan
University of Kufa Faculty of Arts

Received Date: 20/4/2024, Accepted Date: 8/6/2024, Published Date: 1/6/2025

Abstract:
During the Ottoman era, Iraq was exposed, especially during the first quarter of the nineteenth century, to deadly waves of plague due to many factors, the most important of which was the lack of interest of the Ottoman Empire, under whose control Iraq was under its control, in the health system, and since travel books were an important source for monitoring those waves and their consequences, We decided to shed light on it through the book of the traveler James Baillie Fraser's journey to Baghdad in 1834, due to his journey being close to the occurrence of the plague waves of 1831, as well as the plague of 1832 and 1834. He witnessed its effects on Iraq and decided to record it in the folds of his two books, "Travels in Kurdistan." And Mesopotamia," which was translated into Arabic, including the book "James Bailey Fraser's Journey to Baghdad in 1834," in which the translator devoted himself to translating what the book included only on

DOI: https://doi.org/10.36317/kja/2025/v1.i64.15944
Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي.

Frazer's observations in Iraq, in which the aftermath of the plague of 1834 occupied an important space, as it included detailed information on the subject. It deserves to be studied individually.
Keywords: James Baillie Fraser, plague, Iraq, journey, book .

ـ المقدمة :

تعد دراسة موجات الطاعون على العراق خلال العهد العثماني من المواضيع الجديرة بالبحث لما كانت تفرزه من تداعيات واثار خطيرة على المجتمع العراقي لعل ابرزها قضائها على ثلثي سكان العراق ، وان بحثها من خلال كتابات رحلة جيمس بيلي فريزر تزداد أهميته خاصةً وان كتابات رحلته كانت مصدراً ومرجعاً مهماً للباحثين لما تضمنته من معلومات مهمة وتفصيلية فضلاً عن رسومات وخرائط ليس في الجانب الصحي **"موجات الطاعون "** فحسب بل في مختلف جوانب الحياة الأخرى ، فضلاً عن ان رحلته إلى العراق قد صادفت مع حدوث تلك الموجات ، والتي كانت من اهم الأسباب التي دفعت الباحثتان إلى البحث فيها .

تكون البحث من خمس مباحث تناول المبحث الأول سيرة حياة الرحالة جيمس بيلي فريزر وما فرزته رحلته إلى العراق عام (١٨٣٤- ١٨٣٥) ، أما المبحث الثاني سلط الضوء على أسباب انتشار الطاعون في العراق والطواعين الثلاثة التي شهدها جيمس بيلي فريزرعند وصوله إلى العراق عام ١٨٣٤ ، في حيث سلط المبحث الثالث الضوء على اثر الطاعون عام ١٨٣١ على الواقع السياسي للعراق ، ورصد المبحث الرابع اثر الطاعون عام ١٨٣١ على الواقع الاقتصادي ، أما المبحث الخامس والأخير تناول اثر الطاعون على الواقع الاجتماعي للعراق خاصةً على اعداد وتركيب السكان .

ـ المبحث الأول: جيمس بيلي فريزر قراءة في سيرته ورحلته إلى العراق (١٨٣٤ـ ١٨٣٥):

ولد جيمس بيلي فريزر في مقاطعة ريليك (Relic) التابعة لسكوتلندا (Scotland) في ١١حزيران ١٧٨٣(Encyclopedia Britannica ,1966,p810) ، تلقى تعليمه مثل اخوته في منزل عائلته مونياك (Moniac) قبل أن يلتحق بالمدرسة في ادنبرة (Edinburgh)،اذ كان جده يمتلك مكتبة تضم العديد من المخطوطات الشرقية وكتب التاريخ جمعها خلال عمله مع شركة الهند الشرقية البريطانية (فارس,٢٠٠١)التي وصل نحو ١٧عاماً، كما كان يجيد اللغات كاللغة الفارسية. (Wright, 1994, p125).

ارتحل لغرض العمل إلى جزر الهند الغربية عام ١٧٩٩ فعمل في ادارة مزارع السكر والقطن التابعة لعائلته ، إلا انه فشل في ادارتها فعاد إلى اسكوتلندا عام ١٨١١ ، ليعمل في التصوير ، ولما كانت عائلته تعاني من الديون الثقيلة قرر الذهاب إلى الهند لأجل تسديدها عن طريق ارسال الحوالات المالية الى عائلته خاصةً بعد أن وجد صعوبة في الحصول على عمل مناسب له في وطنه (لم تكن الزراعة تدر دخلاً جيداً في اسكوتلندة في أواخر القرن الثامن عشر لظهور البدايات الأولى للثورة الصناعية في انكلتر التي كانت طبقة النبلاء فيها يتمتعون بأسلوب

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

حياة افضل واكثر تطوراً من غيرها ، مما دفع العائلات الاسكتلندية والتي منها عائلة فريزرإلى مواكبة ذلك التطور فعملت على رهن ممتلكاتها وشراء مزرعة سكر في جزر الهند الغربية إلا ان سوق السكر سرعاً ما انهارت أسعاره بسبب الافراط في انتاجه ، فعمدت على رهن المزرعة ومن ثم اقتراض المال مقابل سكر المزرعة نفسها، مما جعلها تواجه الديون بشكل سيئ ، وتجدر الإشارة إلى ان عائلة فريزر لم تكن الوحيدة في ذلك الموقف حيث كانت العائلات الاسكوتلندية في موقف مماثل ، لذا ارتأت ان الحل الوحيد هو ارسال أبنائها إلى الهند حيث يمكنهم كسب المال عن طريق ارسال الرسائل والمذكرات (Falk , 1988, p 28) ، فبعد حصوله على مساعدة صديق عائلته (Wright, 1994, p125) مدير شركة الهند الشرقية البريطانية وعضو البرلمان البريطاني السير تشارلز جرانت (Charles Grant) (١٧٤٦- ١٨٢٣) (Anderson,1998 ,p32-33; Rapson,n.d ,p.378-380) تمكن من الذهاب إلى الهند التي وصلها في نهاية كانون الثاني ١٨١٣ ليعمل في التجارة في بداية الأمر إلا ان فشله فيها لإهتمامه بالترحل والكتابة بالرسم (Wright, 1994, p125) فقام بجولة استكشافية مع أخيه مدتها ثلاثة أشهر خلال(ايار- تموز ١٨١٥) في ولايات جبال الهيمالايا، سافر خلالها عبر مناطق غير معروفة في جبال الهمالايا اذ كان اول اوربي يصل تلك المناطق و العثور على منابع نهري جومنا والغانج ، يدفعه في ذلك رغبته في تقديم معلومات جديدة عن تلك الأماكن للقارئ الأوربي الذي كانت تجذبه اي معلومات تتعلق ببلد غير معروف مهما كانت طريقة نقل تلك المعلومات فضلا عن إرضاء غرور ما كان الاتجاه العالمي الغربي يسير عليه من مشاريع خطيرة غير مؤلفه، لذا قام فريزر بتسجيل كل ما راءه في يوميات ومذكرات تضمنت معلومات تفصيلية نشرها في كتاب تحت عنوان **"يوميات جولة عبر جزء من نطاق ثلجي من جبال الهيمالا وإلى منابع نهري جومنا والغانج"** عام ١٨٢٠ . (Fraser, 1820, p i –vii).

عمل على تطوير نفسه في الرسم بمساعدة فنانين محترفين فقام برسم الهنود من جميع الطبقات في مجموعة حصرية لها من اللباس فضلاً عن رسومات للمدينة وضوحيها Falk) (1988, p 29-35, نشرها تحت عنوان **"مناظر كلكتا وضواحيها"** خلال عامي (١٨٢٤- ١٨٢٦) دعم من خلالها وجهات النظر التي يحملها رجال الطب والسياح الاوربيون عن المدينة انذاك.(Sciampacone, 2008,P1) .

في طريق عودته إلى بلاه عام ١٨٢١ قام برحلة مستقلة غير رسمية إلى بلاد فارس برفقه احد موظفي شركة الهند الشرقية البريطانية ، اذ انه لم يكن موظفاً لدى الحكومة البريطانية ولا حكومة الهند بعد (Farmanfarmaian,1996, p101) فجاءت رحلته بناء على رغبة منه في تقديم مجلد إلى جانب مجلداته عن بلاد فارس خاصةً بعد ان كثرت الدراسات والابحاث عنها في تلك المدة ، فطرق فيها الأماكن التي لم يزرها الاوربيون لأعوام طويلة مسلط الضوء على معلومات مهمة عن بلاد فارس. (Fraser, 1825 ,p i-xii). وصل منزله اواخر كانون الثاني ١٨٢٣ بعد غياب استمر عشر أعوام ليتزوج من ابنه عمه حال عودته مباشراً ، ثم ليقسم وقته

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الذي وصل إلى عقد من الزمان بين اسكتلندا و لندن وتأليف الروايات والكتب التي سرد فيها الأسفار والمغامرات في المقاطعات الفارسية التي زارها . (Stephen,1889, p. 211) .

اكتسب فريزر عن طريق سفراته ومغامراته في الهند وبلاد فارس خبرة كبيرة والتي ترجم اغلبها في مؤلفاته ، الامر الذي جعله محط انظار الحكومة البريطانية التي كانت تشعر بالقلق من ازدياد نشاط ونفوذ روسيا في المنطقة(Wright ,2012) التي استغلها ضعف الدولة العثمانية لتحقق لنفسها نوع من السيادة عليها مما اثار قلق الدول الأوربية المتنافسه التي منها بريطانيا (علي , د.ت, ص١٠٩ ـ ١١٤ ؛ سميرة, ٢٠١٨, ٢٠١٩, ص ٤٢ـ ٥٢) التي وجدت في فريزر أداة سهلة لجمع المعلومات عن تلك البلدان، فقامت بتوكيله بمهمة دبلوماسية سرية إلى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين لاجل الإبلاغ سراً عن ذلك النشاط الروسي فضلاً عن مدى سلطة الحكومة العثمانية على مناطقها ، لذا غادر لندن لاجل المهمة في نهاية كانون الأول عام ١٨٣٣واستمرت حتى ايار ١٨٣٥، أي استمرت ثلاث أعوام تقريباً ، فخرج وعاد عبر فيينا و استانبول وأرضروم وتبريز إلى طهران ، التي كانت بمثابة قاعدة له في رحلتين منفصلتين الأولى ايار- تموز ١٨٣٤كانت عبر طهران، مشهد، رادكان، بجنورد، جاسم علي، طهران ، والثانية اب ١٨٣٤- اذار ١٨٣٥ كانت عبر طهران، آمول، رشت، تبريز، أورميا، سافوج بولاج (مهاباد)، السليمانية، بغداد، كرمنشاه، طهران ثم عاد إلى لندن كما جاء . Wright (,2012).

تجدر الإشارة إلى ان فريزر مر خلال رحلته الثانية في العراق خلال مدة (١٧ تشرين الأول ١٨٣٤ـ ٢٩ كانون الثاني ١٨٣٥) قام بتسجيلها في كتاب حمل عنوان **" رحلات في كردستان و بلاد ما بين النهرين "** الذي ضم الرسائل التي كان يبعثها إلى زوجته طيلة رحلته في مجلدان تم نشرهما في لندن عام ١٨٤٠ بلغ مجموع كل منهما بحدود ٤٧٧ صفحة، ضم بين طياتهما معلومات مهمة تفصيلية ورسومات تخطيطية للشخصيات والمناظر عن البلدان التي زارها اغلبها كانت نادرة لم تعرف من قبل ، ومن الجدير بالإشارة لما كان العراق كان لا زال يعاني من اثار طاعون عام ١٨٣١ خلال مدة رحلته إلى العراق فضلاً عن وقوع طاعوناً أخرى فقد خصص له حيز لابس به فيهما (Fraser, 1840) موضوع بحثنا، مما جعله يحظى باهتمام الباحثين فتمت طباعته اكثر من مرة وترجمته من لغته الاصلية الانكليزية إلى العربية اكثر من مرة أيضاً لعل اشهرها كتاب **"رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤"** التي ترجم فيها المترجم مشاهدات جيمس بيلي فريزر عن العراق وبشكل خاصة بغداد من كتابه **" رحلات في كردستان و بلاد ما بين النهرين "** تم الاعتماد عليه من قبل الباحثتان . (فريزر ، ٢٠٠٦) .

تولى بعد عودته من رحلته الأخيرة العديد من المناصب الإدارية اذ تم توظيفه في وزارة الخارجية البريطانية (١٨٣٦ـ١٨٣٩) ، و بعد أن انتهى عمله في الوزارة عاد إلى منزل عائلته ليكرس نفسه للكتابة والشؤون المحلية التي اعطى لها الكثير من الاهتمام لتحسين ممتلكاته في ريليك خاصةً وانه كان نائبًا ملازمًا للمقاطعة منذ وفاة والده عام ١٨٣٥، حتى وفاته في مونياك

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

في ٢٣ كانون الثاني ١٨٥٦ ودُفن في قبو عائلته. (Stephen, 1889,p211؛ Wright,2012) .

يتضح مما جاء أعلاه ، أن فريزر دفعته الحاجة إلى المال إلى القيام برحلات وجولات في الهند وبلاد فارس وتسجيها في مؤلفاته لتلبيه رغبة القارئ الأوربي وارضاء غرور ما كان الاتجاه العالمي الغربي يسير عليه من مشاريع خطيرة غير مؤلفه ،الامر الذي اكسبه خبر في السفر في تلك البلدان فجعله محط انظار الحكومة البريطانية التي كانت تخشى من ازدياد النفوذ الروسي لتوكله بمهمته الدبلوماسية الأولى عام ١٨٣٣ التي زار خلالها بلاد فارس والعراق ، وسلط الضوء خلال رحلته إلى العراق على الطاعون خاصة طاعون عام ١٨٣١ وإلى عوامل انتشاره في العراق ؟ هذا ما سيبحثه المبحث الثاني من بحثنا هذا.

ـ المبحث الثاني: الطاعون في العراق حتى عام ١٨٣١:

الطاعون في اللغة هو الوباء وجمعه طواعين وطعن الرجل فهو مطعون وطعين أي أصابه، الطاعون الذي هو المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان (ابن منظور ,١٩٩٧, ص١٨٠) ، و يعد الطاعون من الأمراض المعدية الشديدة الخطورة اذ تسببه بكتريا حيوانية تسمى (Yersinia Pestis) متواجدة مصادرها عادةً في بعض القوارض مثل الفئران و السناجب و الكلاب البرية والثديات الصغيرة وبراغيثها ، ويصنف الطاعون إلى انواع منها الطاعون الدبلي العقدي وهو الأكثر شيوعاً ويتصف بعقد لمفاوية متضخمة ، اما الصنف الثاني هو الطاعون الرئوي الذي يعتبر أكثر خطورة لان مدة حضانته يمكن أن تكون قصيرة تصل إلى ٢٤ ساعة أي ان أي شخص يعاني من الطاعون الرئوي يمكن أن ينقل المرض عن طريق الرذاذ المتطاير في الهواء إلى الشخص اخر السليم. (فولوفسكايا , ١٩٨٦ , ص ٤٣٢) .

عاني العراق خلال العهد العثماني لاسيما في الربع الأول من القرن التاسع عشر من تفشي موجات وباء الطاعون المدمره التي كانت تقضي على ثلثي السكان في العراق(السرحان؛ و الحيالي , ٢٠٢٢ , ص١٦ ـ ٢٧) ، ويرجع ذلك للعديد من العوامل كان في مقدمتها عدم اهتمام السلطات العثمانية بتقديم الخدمات العامة و الصحية بصورة خاصة للعراق (لم تحضي الخدمات الصحية باهتمام الدولة العثماني و بشكل دقيق إلا عام ١٨٣٨ لتطبيقها نظام الحجر الصحي (Quarantine) والذي أصدرته عام ١٨٤٠ الذي نص على تأسيس دوائر الحجر الصحي في الولايات العثمانية ، علاوة على إنشاء عدد من المحاجر الصحية عند المنافذ الحدودية ومدن العتبات المقدسة والطرق المؤدية اليها . عبد الكريم , ٢٠٠٣, ص٣٧٨) ، اذ كان يشكو من قلة الأطباء والأدوية وقلة المستشفيات بل انعدامها في كثير من مناطق الالوية العراقية وغياب المؤسسات التعليمية خلال تلك المدة ، مما انعكس على قلة الوعي واعتماد السكان في التشافي على التطبيب الذي تدخل في اغلبه الجهل والشعوذة ، (الجراح , ٢٠١٠, ص٦) يضاف إلى ذلك ادت بيئة العراق التي تميزت بارتفاع كبير في درجات الحرارة مع وجود الاهواروالمستنقعات في الأجزاء الوسطى والجنوبية وانقطاع الأمطار وهجمات الجراد في

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الشمال، فضلاً الفيضانات وما تخلفه ورائها دوراً كبيراً في انتشار وانتقال الأمراض فيه . (الصريفي , ٢٠١٤, ص٢٣ ـ ٢٥).

وفي متابعة للعوامل المسببة لموجات الطاعون تكمن اغلبها في موقع العراق الجغرافي الذي جعله يحظى بزيارة اعداد كبير من سكان البلدان المجاورة لوقوعه على طريق الحج بالنسبة لبعض البلدان الإسلامية المجاورة فضلاً عن وجود العتبات المقدسة التي يقصدها الزوار ومقبرة وادي السلام في النجف التي يدفن فيها موتاهم ،(الوردي , ١٤١٣هـ , ص٢٠) كما شكل العراق طريقاً لسير القوافل التجارية حيث تعد كل من بغداد والبصرة والموصل لانها تتوسط الطريق التجاري بين شمال وجنوب العراق وكانت تجاره العراق تتم عادةً مع الهند وبلاد فارس وشبة الجزيرة العربية ، (بارسونز , ٢٠١٣ , ص١١٩) لذا إزاء ذلك الإهمال اعلاه فان أي وباء ينتشر في تلك البلدان سيصيب العراق عاجلا ام اجلاً ، ومن الجدير في الذكر ان كثير من الاوبئة والامراض التي منها الطاعون كانت تنتقل إلى العراق من البلدان المجاور له عند انتشارها فيها (الوردي , ١٤١٣هـ , ص٢٠) ،كطاعون ١٨٣١ المدمر الذي ذكره فريزر في كتاباته لقرب حدوثه من تاريخ رحلته إلى العراق عام ١٨٣٤، اذ عد من الأكثر الطواعين فتكاً في تاريخ العراق الحديث انتشر في عموم العراق بعد ان اتخذ بغداد مركزاً لهجومه القاتل، وقد تعددت الآراء حول طريقة دخوله إلى العراق فالبعض يجد انه جاء من مصر ثم عن طريق سوريا إلى السليمانية وكركوك فبغداد،والبعض الأخر من ايران عبر خانقين والسليمانية وراوندوز (الجميلي , ٢٠١٦ , ص٣٢ ـ ٣٣) ،اتفق فريزر مع الأخير اذ عزى انتقل طاعون عام ١٨٣١ إلى بغداد من ايران بعد ان فتك بها وأن الإصابات الأولى له كانت في تشرين الثاني لعام ١٨٣٠ إلا انها اخفيت ليظهر في اوائل عام ١٨٣١ واشتد واصبح بشكل مخيف ومميت في اذار عام ١٨٣١ مزيد من خطورته على الفتك والدمار فيضان نهر دجلة في ٢١ نيسان ١٨٣١ ليستمرا حتى انحسار الفيضان في أوائل أيار وانقطاع الإصابات بشكل نهائي في ٢٦ أيار عام ١٨٣١ . (فريزر , ٢٠٠٦,ص٩٦ , ١١٣, ١٠٨, ١٠٠)

ويرجع فريزر سبب انتقال وانتشار وباء الطاعون عام ١٨٣١ إلى العراق الذي يصور اثاره تصوراً مخيفاً إلى العديد من الأسباب لعل ابرزها **"التراخي وعدم المبالاة الممتزج بعقيدة واهية بالقضاء والقدر"** التي تسيطر على عقل السكان دفعتهم إلى عدم اتخاذ الاجراءات الوقائية التي يتبعها الأوربيون التي كان من الممكن ان تجرد المرض من تأثيراته وتقلل عدد الضحايا عند السماع بظهوره في ايران إول الامر إو حتى عند ظهور الإصابات الأولى في بغداد في اوئل تشرين الثاني ١٨٣٠ فهي اهملت واخفت وحتى عندما اشتد الوباء في بداية اذار ١٨٣١ لم يتخذ(فريزر , ٢٠٠٦) والي بغداد المملوكي داود باشا(١٧٦٧ ـ ١٨٥٠) الذي تولى ولاية بغداد خلال(١٨١٧ ـ ١٨٣١) (عز الدين , ١٩٦٧ , ص٢٥٧ ـ ٢٧٣) أي إجراءات وقائية بل عمد إلى منع السكان من مغادرة المدينة (فريزر , ٢٠٠٦ , ص٩٦ , ١١٣, ١٠٨, ١٠٠) ، بسبب تكبيله بفتوى من قبل رجال الدين المتزمتين في بغداد الذين افتوا بمخالفة منهج الحجز الصحي للشريعة الإسلامية ، وذلك بعد ان طلب داود باشا من طبيب القنصلية البريطانية في

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

العراق على أعداد منهج للحجر الصحي بعد شهرين من ورود اخبار وصول وباء الطاعون إلى كركوك بغية منع الطاعون من الوصول إلى بغداد فاعده الطبيب ، إلا ان الفتوى حالت دون تنفيذه، لذا لم يتم اتخاذ أي عمل لصد سير عدوى الطاعون لبغداد ، اذ كانت القوافل الواردة من ايران وكردستان تدخل إلى بغداد بكل حرية (الوردي , ١٤١٣هـ , ص٢٦٩) ، ولم يكتفي بذلك بل منع سكان بغداد من الحركة بأمل الحيلولة دون حصول انتشار الذعر والهلع بين جميع طبقات السكان عند ظهور عدوى الطاعون في بغداد ، ولم يقتصر ذلك الاجراء في بغداد فقط بل عمد والي البصرة إلى اغلاق أبواب المدينة نفسها ومنع سكانها من الهرب مما أدى إلى اشتداد نكبة الطاعون فيها لكون الخوف والهلع اديا إلى اشتداد امر الطاعون على السكان المحاصرين في الداخل . (فريزر , ٢٠٠٦ , ص ١١٤ ـ ١١٥) .

وفي سلسله تعقب فريزر عوامل انتشار طاعون عام ١٨٣١ ينسبه إلى دور فيضان نهر دجلة الذي بداء في نيسان ١٨٣١ الذي **"وقع في بداية الأمر في الريف فحال دون هروب الناس من الطاعون وحاصر القسم الأعظم منهم ما بين الأسوار ثم تسربت المياه إلى المدينة نفسها ، ... احتشد من بقى على قيد الحياة في مساحة ضيقة فوق البقع الجافة من الأرض ، اضطروا إلى اللجوء إلى البيوت الملوثة بجماعات يتراوح عدد أفراد كل منهما بين العشرين والثلاثين وهم محاطون بالفساد والتفسخ ومحرومون من الملابس والمؤونة أو وسائل إشعال النار وكان تراكم الجثث غير المدفونة إلى تفاقم التأثيرات الناجمة عن تفشي عدوى الطاعون بتلوث الجو وجعله اشد إيذاء وإهلاكاً للنفوس "** كما أشار إلى أن قيام الأعراب من قطاعي الطرق الذين حاصروا المدينة حيث كانون يسلبون الخارجين منها جميعهم حد العرى **فـ" تسنى للوباء يفعل ما يفعل بكل حرية ، ووقع الناس فريسة له بسرعة لا تصدق"** لدرجة وصل حتى للجالية البريطانية في بغداد رغم اتخذها الإجراءات الوقائية منذ اذار عام ١٨٣١ على غرار ذلك (ص١٠٩ ـ ١١٠) اضطرالرحالة والعسكري البريطاني المتختص بشؤون الهند الكولونيل تايلور (John Taylor) المتوفي عام ١٨٠٨ (حداد , ١٩٨٢ , ص٢٥) إلى الهرب بعد ان تسلل الطاعون إلى داره . (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١٠٩ ـ ١١٠) .

لم يمضِ وقت طويل على انحسار طاعون عام ١٨٣١ حتى عاد الطاعون ولكن هذه المرة من البصرة بسبب السفن الوافدة من الموانئ الإيرانية والهندية فضلاً عن الزائرين والسياح من تلك الموانئ ، لينتقل إلى بغداد عن طريق مجرى نهر دجلة إلا انه سرعان ما اختفى (السرحان , ٢٠١٥, ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤) اذ ظهر فيها خلال نيسان ١٨٣٢ ليتضاءل في شهر تموز من عام ١٨٣٢، ويعود مرةً أخرى للظهور في بغداد في كانون الثاني من عام ١٨٣٤ ويستمر حتى نيسان من عام ١٨٣٤(الجميلي , ٢٠١٦ , ص٣٤ـ ٣٥)، ويرجع فريزر سبب وفود الطاعون هذه المرة الذي ظهر في كرمنشاة ايران إلى طمع باشا بغداد بالإتاوات التي يقبضها من الزوار الإيرانين رغم تحذير المقيم البريطاني وتذكيره بالعواقب الوخيمة ، إلا انه لم يقم بمنع أي اتصال ممكن مع كرمنشاه المتفشي الطاعون فيها انذك مما عرض المدينة إلى هجمة وبائية كانت ممكن ان تضاهي طاعون عام ١٨٣١، إلا انه في الوقت نفسه اتخذ إجراءات احترازية خففت من وطأة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

تأثيرهما من حيث السماح للسكان بالهرب خارج المدينة **" فاستغلوا هذه الحرية إلى اقصى حدودها "** لذا هاجرت جماعات بأسرها مع جميع امتعتها خارج المدينة عند أول ظهور عدوى للطاعون فشملتهم العناية الإلهية وحمتهم على حد تعبيره،عكس طاعون عام ١٨٣١ الذي فرض فيه الباشا حصار على المدينة بذريعة الخوف من انتشار الذعر والهلع للسكان . (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٣ـ ١١٤) .

مما جاء أعلاه, ان فريزر يرجع عوامل انتقال وانتشار الطاعون في عام ١٨٣١ وعام ١٨٣٢ و عام ١٨٣٤إلى العراق في كتاباته إلى العديد من العوامل كان في مقدمتها عدم اتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من انتقاله عند ظهوره في البلدان المجاورة له ، خاصةً طاعون ١٨٣١ المدمر الذي ا انتشر بحرية في العراق بسبب العامل أعلاه فضلا عن فيضان نهر دجلة في نيسان ١٨٣١ ومحاصرة الصوص للمدينة مما جعلها فريسة له ، اذ كانت تلك هي عوامل انتقال الطاعون للعراق فما هو تأثيره على حكومة المملوكي داود باشا(١٨١٧ ـ ١٨٣١) ؟ هذا ما سيبحثه المبحث الثالث من هذا البحث.

ـ المبحث الثالث: دور طاعون عام ١٨٣١في اسقاط حكومة داود باشا وانهاء المماليك في العراق كتاب رحلة جيمس بيلي فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤:

اثار الوالي داود باشا الذي تولى حكم ولاية بغداد في أواخر شباط ١٨١٧(الوردي , ١٤١٣هـ , ص٢٦٦) ريب السلطان العثماني محمود الثاني (١٧٨٥ ـ ١٨٣٩)الذي كان يحاول اعادت الولايات التي تمتعت بحكم شبه مستقل في أيام ضعف الدولة العثمانية إلى الحكم العثماني المباشر (الصلابي ٢٠٠١ , ص٣٣٩ـ ٣٤٢, ٣٦٠ـ ٣٧٣؛ آيدين ؛ واخرون ؛ ..... , ١٩٩٩, ص٨٧, ٩٧ ـ ١٠١)، بمحاولاته تقليده تجربة محمد علي باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) الذي حقق استقلال ذاتي في مصر اجبر السلطان العثماني على الاعتراف بذلك الاستقلال (الأيوبي, ٢٠١٤ ؛ الرافعى , ١٩٨٩, ص٥٧٣ـ ٥٧٤)، بسبب ما قام به داود باشا من اعمال من حيث اهتمامه بتقوية الجيش وتدريبه على النظم الحديثة، والتقرب من العلماء والادباء والشعراء الذين اخذو يمدحوه ويتغنون بمناقبه وانجازاته في مؤلفاتهم وقصائدهم ، والأهم من ذلك اطلع السلطان على التقارير التي وردت اليه من بغداد والتي دلت على عدم صدق نيه داود باشا في القضاء على الانكشارية وفق الأوامر ، الأمر الذي دفع السلطان إلى جس نبض ولائه له ، فطلب منه اثر اعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية عام ١٨٢٨ ان يقدم معونه مالية قدرها (٦٠٠٠) كيس ذهب ، علما ان هذا الطلب لم يقتصر على داود باشا بل شمل جميع الولاة في الدولة العثمانية اثر اعلان حالة النفير العام فيها ، إلا ان داود باشا امتنع عن ارسال المبلغ الامر الذي اعتبره السلطان العثماني بمثابة اعلان العصيان عليه ، مما اثر سخطه فقرر اخضاعه و القضاء على حكمه فارسل في صيف عام ١٨٣٠ مبعوثاً من قبله يدعى صادق افندي لهذه المهمة إلا انه لم يكن أهلاً لها ، اذ احس داود باشا الذي كان يتميز بالدهاء وكثرة الاعوان بالمهمة المنوطة له فقتله بعد أن تشاور مع بعض كبار موظفيه . (الوردي, ١٤١٣هـ , ص٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

احدثت عملية قتل مبعوث السلطان صادق افندي صدى واسع في استانبول والولايات العثمانية الأخرى رغم محاولات داود باشا التضليل على الحادثة إلا ان القضية عكست صدها لدى الباب العالي الذي جعلها ام المسائل واتخذ التدابير العاجلة لغرض تأديبه فأرسل في أوائل شباط ١٨٣١ **"(** العزاوي ,١٩٥٤, ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨)والي حلب علي رضا اللاز(١٧٨٤ـ ١٨٤٥) (المالكي , ٢٠١٨ , ص١٣)على رأس جيش ضخم للهجوم على بغداد ، فاستعد داود باشا لمقاومته فضلا عن استمراره في ارساله الكتب عن طريق وسائط إلى السلطان ووكلائه ورجال البلاط التي جاء في فحواها **"طلب العفو لنظراً لخدماته السابقة وصدقة واخلاصه وديانته يستعفى من جريمته"(** العزاوي ,١٩٥٤, ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨) من أولئك الوسطاء المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلورالذي علم بتورط داود باشا بالقضية واقترح عليه **"بأن يعرض الأمر على المسؤولين في استانبول بصورة يدافع فيها عنه ، وهناك قليل من الشك بأن القضية كانت ، مع شيء من التنازل من جانب الباشا ، ستنتهي في صالحة هو ...."** . (فريزر ,٢٠٠٦, ص١٢٢) .

في خضم الاستعدادات تلك قلب ظهور الطاعون المدمر الذي ظهرعام ١٨٣١ الطاولة على داود باشا وجيشه فانهك واضعف قوته العسكرية وكل استعداداته (لونكريك , ١٩٨٥, ص ٣١٨ ـ ٣٢٠) وقد سلط فريزر ذلك الأثر بقوله **" لقد فنى الطاعون قوة داود باشا العسكرية بالكلية "** أذ ان **" قطعة عسكرية عدتها الف رجل ومدربة تدريباً عسكرياً على النسق البريطاني، لان الكولونيل تايلور نفسه كان يقودها في يوم من الأيام ، لم يبقى منها على قيد الحياة سوى رجل واحد ، وقد ترك الباشا بالفعل لوحده في الدار كان قد اضطر للألتجاء إليها حينما تهدم قصره ..."** (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١٢٢ـ ١٢٣) يضاف إلى الطاعون فيضان نهر دجلة الذي زاد الطين بله مخلف ورائه مجاعة فعمت الفوضى والاضطراب في بغداد، في ذلك الوقت اخذ والي حلب علي رضا اللاز الذي وصل إلى الحدود الشمالية لبغداد يترقب **"الفوضى"** ليتقدم بعد أن انتهت (ولستيد ,١٩٨٤, ص ١١٤) بوقت قصير وقام بمحاصراً بغداد بسبب دفاع المماليك عنها لعدة أيام مع استخدام المدافع والقنابل لضعف مقاومتها التي لا زالت تعاني من اثار الطاعون والفيضان فتمكن من دخولها بعد ان اضطر المماليك للاستسلام (بك , ١٩٦١, ص ٧٢ ـ ٧٧) في ١٤ أيلول ١٨٣١ على رأس جيشه، فسلم داود باشا الذي استجاب لأوامر الباب العالي نفسه إلى علي رضا اللاز الذي سمح له بمغادرة المدينة مع اخذ ثروته ، وبعد ان احكم سيطرته على بغداد عمل على التخلص من المماليك بتنفيذه مؤامرة ضدهم وذلك بدعوتهم بحجة الاستماع إلى قراءة الفرمان الذي ارسلته استانبول إلى بغداد ، إلا ان الفرمان أقر نص اعدامهم فعهدت قوات علي رضا اللاز على التخلص من المماليك بحيث لم يبقى منهم سوى عشرة أو اثنى عشرة ارسلهم إلى استانبول ، وبذلك يكون قد انهى حكم المماليك واعادة الحكم العثماني المباشر إلى بغداد مرة أخرى . (عبد الله , ٢٠١٤ , ص٤١٨ ؛ الشيباني؛ وعباس , ٢٠١٩ , ص٤٨٥ ـ ٤٨٦).

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

يتضح مما تقدم تأكد فريزرفي كتاباته على أن لطاعون عام ١٨٣١ اثر كبير في اسقاط حكم داود باشا وانهاء حكومة المماليك في العراق (١٧٥٠ ـ ١٨٣١) لانه قضى على القوة العسكرية التي كان يستند عليها داود باشا لمواجهة قوات السلطان العثماني محمود الثاني الذي ارسلها لأجل القضاء على حكومته ، اذ كان هذا اثر الطاعون عام ١٨٣١ على حكومة المملوكي داود باشا ، فما هو اثرها على الواقع الاقتصادي للعراق في كتابات فريزر هذا ما سيتناوله المبحث الرابع من هذا البحث .

ـ المبحث الرابع :أثر الطاعون على مظاهر الحياة الاقتصادية للعراق كتاب رحلة جيمس بيلي فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤:

تعطلت الحياة والأنشطة الاقتصادية في العراق بعد انتقال طاعون عام ١٨٣١ إلى العراق، فبعد أن كان مزدهر في عهد المماليك (١٧٥٠ ـ ١٨٣١) خاصة في عهد داود باشا وقد أشار إلى ذلك الازدهار الرحالة البريطاني جيمس ريموند ولستيد (James Raymond Wellsted)(١٨٠٥ ـ ١٨٤٢) (ولستيد , ٢٠٠٩ , ص٥) الذي زار العراق في عهد داود باشا من حيث وجود الأسواق والصناعات الحرفية كصناعة العطور والسجاد التي عدت من افخر أنواع الصناعات حيث كانت مزدهرة حسب ماذكر ، وذكر ان **" لكل فرد حرفته المخصصة له ، اما ان يكون من البقالين أو التجار أو موظفاً لدى الحكومة ، اذ لا يتمتع الفرد بأي احترام أن لم يكن لديه عمل يمارسه، ... "**(ولستيد, ١٩٨٤, ص٧٣ ـ ٩١) اثر طاعون عام ١٨٣١ وبشكل كبير على الصناعة المحلية لا سيما الإنتاج الحرفية منها الذي كان يشكل القاعدة الرئيسية للصناعة في العراق خلال القرن التاسع عشرة فلم يكن يتعدى سوى بقايا الصناعات الحانوتية والمنزلية (شاغة , ٢٠٢١, ص٤٢) ، عقب فريزر على مدى اثره على واقع حالها بعد انقضائه من حيث احتاج عودة الأسواق الغير مهدمة مدة طويلة للعودة إلى الأمتلاء والدكاكين إلى فتح أبوابها من جديد بمقدار يعتد به **" فان معظم التجار ، وجميع الصناع وأرباب الحرف تقريباً ، قد اتى عليهم الموت فأزالهم من الوجود "** لدرجة وصل بهم الحال اذا ارادوا الحصول على بعض الحاجيات المصنوعة التي تشتهر بصناعتها هذه البلاد ، يقال لك **"آه" ، " إن ذلك لا يمكن الحصول عليه الآن لأن جميع من كانوا مختصين بصناعته قد ماتوا"** ، لذا انمحت العديد من الصناعات والحرف التي كانت معروفة وقت ذلك بسبب موت أصحابها لذا اضمحلت معهم . (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٣) .

كما تأثرت الزرعة التي تعد من المصادر الرئيسة لتجارة في العراق في القرن التاسع عشر(شاغة , ٢٠٢١, ص٤٤ ـ ٤٦) ، بسبب موت اكثر اصحابها لا سيما بعد فيضان نهر دجلة الذي دمر الكثير من الأراضي الزراعية والأسواق والحوانيت والبيوت الذي زاد من اثار طاعون عام ١٨٣١ مؤدي إلى خرابها وموت أصحابها مخلفاً مجاعة صعبت على السكان الحصول على الاحتياجات الأساسية من غذاء وملبس (العكيلي , ٢٠١٩ , ص ٣٠ ـ ٣٣) حيث ان فقدان القوى العاملة في البصرة سببت في اهمال البساتين في البصرة التي كانت تعد المصدر الرئيسي لثراء تجار البصرة (الجميلي , ٢٠١٦ , ص ٣٤) ، فبين فريزر احتياج السكان إلى

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

مرور وقت طويل قبل أن يصبح من الميسور على الناس من الذين بقو على قيد الحياة الحصول على ضروراتهم الاعتيادية كالغذاء والملابس. (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٣) .

يتضح مما تقدم، أن فريزر أشار في كتاباته إلى ان لطاعون عام ١٨٣١ اثر كذلك على الحياة والأنشطة الاقتصادية في العراق مبين أن تأثيره بشكل خاصة صب على الصناعة المحلية لا سيما الحرفية منها ، حيث سبب في اختفاء الكثير من الصناعات والحرف بسبب موت أصحابها ، فضلاً عن تأثر التجارة والزراعة اللتان تعدان القاعدة الأساسية لاقتصاد العراق انذاك، اذ كان له اثره على الحياة والأنشطة الاقتصادية في العراق ، ما هو تأثيره على مظاهر الحياة الاجتماعية للعراق ؟ هذا ما سيبحثه المبحث الرابع من البحث هذا .

ـ المبحث الخامس : أثر الطاعون على مظاهر الحياة الاجتماعية كتاب رحلة جيمس بيلي فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤:

كان لموجات الطاعون اثر كبير على اعداد السكان في العراق فضلا عن إلى ما كانت تسببه حروب الدوله العثمانية من اثر كان لها دور كبير في تناقص وتدهور اعداده (رؤوف , ١٩٧٦ , ص ٢٢ ـ ٢٩ ؛ الجبوري , ٢٠٠٧, ص٦٢) ، حيث كانت تقضي على ثلثي سكان في كل هجمة وقد تستمر عواقبها لمدد زمنية طويله حيث تترك الاحياء مقفره فيها (فوصيل , ١٩٦٨ , ص ٤٤) ، منها الطاعون المدمر لعام ١٨٣١ المدمر فبعد الزيادة الكبيرة التي كانت تشهدها اعداد سكان العراق خلال القرن التاسع عشر والتي ذكرها كثير من الرحالة الأجانب الذين زاو العراق في تلك المدة فقدر الرحالة ووالصحفي وعضو البرلمان البريطاني جيمس سلك بكنغهام (James Silk Buckingham) (١٧٨٦ـ ١٨٥٥) (بكنغهام , ١٩٦٨, ص٣ ـ ٥) ، الذي زار العراق عام ١٨١٦ **" عدد سكان بغداد باختلاف كبير ما بين خمسين إلف إلى مائة ألف واقل نفوسا من حلب لكنها اكثر من دمشق ، ولذلك فان الرقم القريب من الحقيقة هو ثمانون ألف "** نسمة من المقيمين والثابتين (ص١٩٩ ـ ٢٠٠) في حين قدر عددهم الرحالة جيمس ولستيد ريموند الذي زار العراق في عهد داود باشا **" ان عددهم قبل طاعون عام ١٨٣١ يقدر بمائة وعشرين ألف نسمة "** من المقيمين والثابتين ايضاً "(ولستيد ,١٩٨٤, ص٩٤) ، ويرجع ذلك إلى تمتع المدن العراقية منذ بداية القرن التاسع عشرة باستقلال شبه ذاتي تمتع العراق خلالها خاصةً في عهد داود باشا بتطورات حيوية عمرانية جديدة ونشاط مدني متميز(رؤوف , ١٩٧٦, ص٣٥ ـ ٣٦) ، إلا ان عدد سكان العراق تأثر بشكل كبير بطاعون عام ١٨٣١ ومنذ الأيام الأولى لظهوره ، وقد سرد فريزر في كتاباته عن ذلك الأثر لقرب حدوثه من موعد زيارته حيث شهد اثاره على المدن العراقية التي زارها خاصةً بغداد التي اسهب في سرد اثاره يرجع ذلك إلى **" تأثيراته إزداد وقعها فيها أكثر من أي مكان أخر نظراً لما شاهدته بنفسي منها "** ، اذ يذكر جاءت اثاره مدمره على السكان وظهرت منذ الأيام الأولى لانتشاره حتى بلغ عدد الاموات في ١٠ نيسان ١٨٣١ بنحو (٧٠٠٠) شخص في القسم الشرقي لبغداد فقط، علماً ان القسم الشرقي كان يقع فيه مسكن الباشا والبعثة البريطانية وجميع الناس المعروفين انذاك ، و ازداد عدد الوفيات زيادة ملحوظة حتى بلغ عددهم في ٢٦ نيسان ١٨٣١ **"٥٠٠٠**

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

نسمة في اليوم الواحد ـ ولا شك أن العدد قد ازداد بمقدار ٤٠٠٠ على ما يبدو ، وكان مجموع السكان الذي لم يكن يتجاوز في ذلك الوقت ٥٠٠٠٠ إو ٦٠٠٠٠ ، لأن ثلث السكان على الأقل كانو قد غادرو المدينة " لدرجة وصول إلى انتشارالجثث في الشوارع لكثرة الموتى **"فقد محيت مئات الأسر عن أخرها ، ولم يبقى من الأسر الأخرى التي كان يبلغ عددها ٢٠ او ثلاثين شخصاً سوى شخص واحد او شخصين فقط على قيد الحياة "** و **"أن سكان المئة والثلاثين داراً التي كانت تتكون منها محلته لم يبقى منها حي سوى ٢٧ شخصاً فقط "**. (فريزر ,٢٠٠٦ ,ص ١٠٣ , ١٠٧ ـ ١٠٩ , ١١٢) .

وفي سلسلة تعقبة للخسائر البشرية في بغداد اذ يذكر **"انه من المحتمل جداً ان يكون الطاعون قد اتى على ثلثي السكان كلهم في بغداد ، وان عدد الذين وقعوا فريسة لهذا المرض لم يكن أقل من مئة إلف نسمة إذا لم يكن أكثر ، ولا شك ان عدد الوفيات قد أزداد بصدفة الفيضان المؤسفة "**(ص١٠٩ ـ ١١٠) ، أما كردستان التي بدإ فيها الطاعون في كركوك وأصيب بضعة اشخاص فيها لينتقل إلى السليمانية ومناطق بابان(هروتي , ٢٠١٢ , ص٦٤) يذكر جيمس بيلي فريزر فقد فقدت **"نسبة كبيرة من سكانها بسبب الطاعون"**(فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٢) ويشير لونكريك إلى تدمير الطاعون إلى القسم الأغلب من كتائب الجيش النظامي الذي ارسله الباشا إلى كركوك لغرض التعزيز فضلاً عن خروج من بقي فيها من السكان . (لونكريك , ١٩٨٥, ص٣٢٢) .

وفي متابعته لأثر طاعون١٨٣١ على المدن العراقية الأخرى والتي منها مدينة الحلة التي جعلها موقعها عرضة لمختلف الأمراض والأوبئة من حيث قربها من مركز ولاية بغداد التي يصلها مختلف الأجناس لاعتبارات رسمية أو عسكرية أو اقتصادية، فضلاً عن قربها من الأماكن المقدسة (النجف وكربلاء) (السرحان , ٢٠١٢, ص٥٢) ، فقد أشار **فريزر"أن الحلة لم يكد يبقى فيها أحد من الناس بسبب الطاعون،بعد أن كان عدد نفوسها قبل الطاعون يناهز العشرة آلاف نسمة"**. (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١٠٩) .

اما مدينة سوق الشيوخ الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الفرات جنوب شرق مدينة الناصرية والتي كانت على جانب كبير من الأهمية حيث يتوفر فيها كل ما يحتاجه السكان من طعام وملابس وأدوات زراعية وغيرها (العيساوي, ٢٠٠٨, ص ٢٤ ـ ٢٥) يذكر فريزر انها **" تحتوي قبل الطاعون ٦٠٠ إلى ٧٠٠ عائلة "** أضحت بسبب الطاعون **"عبارة عن كتلة من المنازل المدمرة بينها عدد قليل لايزال مستاجراً يضم عدداً صغيراً من الذين نجوا من الوباء"**. (Fraser, 1841,p295)

اما مدينة البصرة فقد اشار فريزر إلى اشتداد اثر الوباء فيها حيث تجاوزعدد الموتى فيها ما حصل في بغداد نسبياً والذي كان من ضمنهم حاكمها (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٤ ـ ١١٥) ، حيث اتفقت الكثير من المصادر مع فريزر من حيث انها من اكثر الأعوام كارثية على سكان البصرة، فأفقدت البصرة اغلب سكانها وجعلتها خربه شبه خالية من السكان حتى لم يبقى منهم من اصل ثمانون الف سوى مابين خمسة إلى سته الاف نسمة . (الاسدي , ٢٠١٤ , ص٤١٩).

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

اما اثر طاعون عام ١٨٣٢ وطاعون عام ١٨٣٤ رغم خفتهما وتضائلهما في وقت قصير نسبياً بسبب اجراءات الحكومة وحذر السكان (الجميلي , ٢٠١٦ , ص ٣٤) ، إلا ان العراق فقد اعداد كبيرة من السكان اذ عقب الرحالة فريزرعن اثرهما على بغداد التي فقدت في طاعون عام ١٨٣٢ خمسة الاف ضحية وطاعون عام ١٨٣٤ سبعة آلاف ضحية رغم ذلك انها لم تضاهي طاعون عام ١٨٣١ من حيث خسائر السكان . (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١١٤) .

نشط طاعون عام ١٨٣١ العديد من المظاهر الاجتماعية التي كانت مألوفة في مثل هكذا حالات والتي رصدها فريزر في كتاباته منها القضاء على كل التقسيمات والتدرجات الهرمية في المجتمع العراقي حيث تساوي الفقراء والأغنياء في نفس المصير اذ عانوا جميعاً من الجوع والعوز ونقص المؤونة والقيت الجثث على الأرصفة في كل مكان كما اضحى العديد من الأطفال ايتاماً وتركو في الطرقات بلا مأوى ، كما و افرزت الأخيرة نوع من الرحمة الإنسانية بأخذ البعض للأطفال لاسيما من النساء لغرض رعايتهم رغم خطر الطاعون الذي من الممكن ان يقضى على حياتهم ، كما ، وفي الوقت نفسه انتشرت وازدادت عمليات النهب والسلب من قبل عصابات حيث كانوا يسلبون الفرد **"حد العرى "** فضلاً عن نهبهم بيوت الموتى (ص١١٧)، ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة انتشار السرقات وحالات القتل التي كان يقوم بها المجرمين وقطاع الطرق كانت معروفه و دائمة الحدوث بسبب غياب عنصر الأمان حيث كانت تلقي الرعب في قلوب السكان . (العكيلي , ٢٠١٩ , ص٣٠) .

كما كان لطاعون عام ١٨٣١ اثر كبير على العادات وأساليب الحياة المتعددة منها الروحية فيشير فريزر إلى انقطاع الأذان طيلة مدة اشتداده**" ...لم يكن هنالك أروع من الهدوء الشبية بهدوء الموت الذي كان يخيم على المدينة في جميع ارجائها ، فقد كف الملالي عن الأذان للصلاة، وتخلى النادبون عن ندب الموتى"** ولم يعد إلا بعد انحساره ، وكانت عودته أولى معالم الفرح وانتهائه (فريزر ,٢٠٠٦ , ص١٠٧ ـ ١٠٨) ، رغم اهميته حيث يذكر ولستيد **" فعندما يسمع صوت المؤذن ، يكون المنظر الوحيد المألوف ،هو رؤية الناس الذين طرق الآذان اسماعهم ، وقد تخلوا في الحال عن أعمالهم السابقة مهما كان نوعها ، واسرعوا من كل صوب لاداء صلاتهم بالتوجه إلى الله الخالق"** (ولستيد, ١٩٨٤, ص٨٠) هذا الشيء ان دل انما يدل على فداحت خطره حيث انه هز المجتمع العراقي في الصميم وبقي تأثيره لسنوات عديده .

يتضح مما تقدم أعلاه ، ذكر فريزر في كتاباته أن لطاعون اثر بشكل كبيرعلى اعداد السكان حيث كان يقضي في كل موجة على ثلثي السكان اذ لم تكن كلها كالحلة التي فقدت كل سكانها في طاعون عام ١٨٣١، كما كان يقضي على كل التقسيمات والتدرجات الهرمية في المجتمع العراقي حيث كانت تتساوي فيه الفقراء والأغنياء المصير نفسه .

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ـ الاستنتاجات

وتوصلت الباحثتان إلى جمله من النتائج ، وهي كالتالي :

١ـ يتضح مما جاء أعلاه ، أن فريزر دفعته الحاجة إلى المال إلى القيام برحلات وجولات في الهند وبلاد فارس وتسجيها في مؤلفاته لتلبيه رغبة القارئ الأوربي وارضاء غرور ما كان الاتجاه العالمي الغربي يسير عليه من مشاريع خطيرة غير مؤلفه ،الامر الذي اكسبه خبر في السفر في تلك البلادان فجعله محط انظار الحكومة البريطانية التي كانت تخشى من ازدياد النفوذ الروسي لتوكله بمهمته الدبلوماسية الأولى عام ١٨٣٣ التي زار خلالها بلاد فارس والعراق .

٢ـ يرجع فريز في كتاباته سبب انتشار وباء الطاعون في عام ١٨٣١ وعام ١٨٣٢ و عام ١٨٣٤إلى العراق إلى العديد من العوامل ابرزها التراخي وعدم اتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من انتقاله عند ظهوره في البلدان المجاورة للعراق .

٣ـ بين فريزر في كتاباته اثر الطاعون على الأوضاع العامة في العراق ، فمن الناحية السياسية سبب طاعون عام ١٨٣١ المدمر في انهاء الحكم المملوكي في العراق (١٧٥٠ـ ١٨٣١) بقضائه على القوة داود باشا العسكرية ،اما من الناحية الأقتصادية فقد جاء تأثير طاعون عام ١٨٣١ بشكل خاصة على الصناعة المحلية لا سيما الحرفية منها ، حيث سبب اختفاء الكثير من الصناعات والحرف بسبب موت أصحابها ، فضلاً عن تأثر التجارة والزراعة التان تعدان القاعدة الأساسية للإقتصاد العراقي آنذاك ، اما من ناحية الاجتماعية فقد اثر الطاعون على الكثير من المظاهر الاجتماعية في مقدمتها تاثيره بشكل كبير على اعداد السكان حيث كان يقضي في كل موجة على ثلثي السكان اذ لم تكن كلها كالحلة التي فقدت كل سكانها في طاعون عام ١٨٣١.

1- Data Availability Statement: (The manuscript includes all the data used in the study.)
2- Conflict of Interest Statement: (The authors confirm that there are no conflicts of interest that could affect the content of this research.)
3- Funding Statement: This research was fully funded by the authors without any financial support from other entities.

قائمة المصادر والمراجع

ابن منظور, محمد بن مكرم .(١٩٩٧).*لسان العرب* , مج٤ . دار صادر.

الاسدي , ناهده حسين علي .(٢٠١٤). *البصرة في ظل الحكم العثماني دراسة في وصف البصرة وسكانها خلال القرن التاسع عشرة* . مجلة كلية التربية الأساسية . *(٢٠)* (٨٢) , ٤١٣ـ ٤٢٦

https://www.iasj.net/iasj/article/91355.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

آيدين , محمد عاكف ؛ واخرون .(١٩٩٩). *الدولة العثمانية تاريخ وحضارة* (صالح سعداوي , مترجم). مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.

الأيوبي, إلياس . (٢٠١٤) .محمد *علي سيرته وأعماله وآثاره* .مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة.

بارسونز, ابراهام .(٢٠١٣). *رحلة أبراهام بارسونز من حلب إلى الخليج العربي* (أنيس عبد الخالق محمود, مترجم) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

بك, سليمان فائق.(١٩٦١). *تاريخ المماليك الكوله من في بغداد* (محمد نجيب ارمنازي, مترجم) .مطبعة المعارف .

بكنغهام ,جيمس .(١٩٦٨). *رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦* , ج١(سليم طه التكريتي, مترجم) .مطبعة السعد.

الجبوري ,احمد حسين عبد . (٢٠٠٧). *الأوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني* .مجلة سر من رأى .*(٣)* (٥) , ٥٠ ـ ٧٠

https://www.iasj.net/iasj/article/20803.

الجراح , نادية مسعود شريف.(٢٠١٠). *الخدمات الصحية في الموصل في العهد الملكي ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ دراسة تاريخية* [رسالة ماجستير غير منشورة] . جامعة الموصل .

الجميلي, قاسم . (٢٠١٦) . *تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير ١٨٥٠ ـ ١٩١٨* . دار دجلة للنشر والتوزيع .

حداد ,بطرس .(١٩٨٢). *رحلة تايلر إلى العراق عام ١٧٨٩ ـ ١٧٩٠* . مجلة المورد. *(١١)* (١), ٢٥ ـ٤١.

https://archive.alsharekh.org/Articles/38/2707/73515

الرافعي ,عبد الرحمن. (١٩٨٩). عصر محمد *علي* ط٥. دار المعارف .

https://www.magiran.com/paper/404169

رؤوف , عماد عبد السلام .(١٩٧٦) . *الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩ ـ ١٨٣١* [رسالة دكتوراه غير منشورة].جامعة القاهرة .

السرحان ,علي كامل حمزة. (٢٠١٢). *الحلة في عهد الوزراء العثمانيين(١٨٣١ ـ ١٨٦٩) دراسة في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية* ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ,٩٤

https://portal.arid.my/10483/Publications/Details/17483

السرحان ,علي كامل حمزة. (٢٠١٥). *الأوبئة والأمراض التي اجتاحت العراق في العهد العثماني وطرق الوقاية منها* . مجلة القادسية . *(١٥)* (٤) ,٢٨٧ ـ٣٣٠

https://www.iasj.net/iasj/article/112874.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

السرحان ,علي كامل حمزة ؛ والحيالي , عذراء خليل حسين.(٢٠٢٢) . *الأوبئة والأمراض التي اجتاحت العراق خلال عهد السيطرة العثمانية والانتداب البريطاني* . مؤسسة دار الصادق الثقافية .

سميرة, بشان. (٢٠١٩). *العلاقات العثمانية الروسية ١٨٠٠ ـ ١٨٧٨* [مذكرة ماستر غير منشورة] .جامعة محمد بوضياف المسلية .

شاغة ,عز الدين .(٢٠٢١) . *العراق في العهد العثماني من خلال أدب الرحالة الإنجليز في القرن التاسع عشر ميلادي ١٩* م [مذكرة ماستر غير منشورة] .جامعة يحيى فارس بالمدية .

الشيباني ,عبد الكريم حسين ؛ و عباس , ريام غانم نجيب .(٢٠١٩). *أوضاع العراق السياسية خلال عهد المماليك في نؤلفات عباس العزاوي ١٧٤٩ ـ ١٨٣١* . مجلة اوروك للعلوم الإنسانية.(١٢)(١) , ٤٧١ـ ٤٩٧

https://www.iasj.net/iasj/article/159980.

الصريفي , اشواق كَاطع نخيل .(٢٠١٤). *الواقع الصحي في لواء الناصرية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨* [رسالة ماجستير غير منشورة] جامعة ذي قار.

الصلابي ,علي محمد محمد . (٢٠٠١) . *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط* . دار التوزيع والنشر الإسلامية .

عبد الله ,ايناس سعدي .(٢٠١٤). *تاريخ العراق الحديث* . دار ومكتبة عدنان .

عبد الكريم, لمى عبد العزيز مصطفى. (٢٠٠٣). *الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩ ـ ١٩١٨* [أطروحة دكتوراه غير منشورة] .جامعة الموصل .

عز الدين ,يوسف . (١٩٦٧) . *داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق* . دار البصري .

العزاوي , عباس . (١٩٥٤) . *تاريخ العراق بين احتلالين* ,ج٦. شركة التجارة والطباعة المحدودة .

العكيلي , كمال رشيد خماس . (٢٠١٩). *الأمراض الإنتقالية في مدينة بغداد كما رواها الرحالة الأجانب في القرن التاسع عشر الميلادي* . مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. (٣٤) , ٢٩ـ ٤١

chromeextension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://www.iasj.net/iasj/download/c14a7c30fc28d173.

علي , صلاح احمد هريدي . (٢٠٢٠). *الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩* . مجلة وقائع تاريخية. (٣٢),١٠٥ـ ١٣٩

Chromeextension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://hev.journals.ekb.eg/article_115490_d29987d629884bbfeb4e8503ceba80c6.pdf .

العيساوي ,عبد العال وحيد عبود .(٢٠٠٨) . *لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٤ ـ ١٩٢١* . مطبعة النجف الأشرف .

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

فارس ,علي عبد الله .(٢٠٠١) . *شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي ١٦٠٠ ـ ١٨٥٨* (ط٢) . مركز الدراسات والوثائق .
فريزر ,جيمس بيلي .(٢٠٠٦). *رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤* (جعفر الخياط , مترجم) . الدار العربية للموسوعات .
فوصيل ,بيير دي . (١٩٦٨) . *الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ ـ ١٩١٤* (اكرم فاضل, مترجم) .دار الجمهورية .
فولوفسكايا ,ماريا .(١٩٨٦). *علم الاوبئة وأسس الامراض السارية* (أكثم خير بك , مترجم). دار مير للطباعة والنشر .
لونكريك, ستيفن هيمسلي . (١٩٨٥). *أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث* (ط٦) (جعفر الخياط , مترجم), منشورات مكتبة اليقظة العربية .

المالكي, علي جواد كاظم .(٢٠١٨) . *التطورات السياسية في العراق خلال عهد الوالي محمد نجيب باشا ١٨٤٢ ـ ١٨٤٩* [رسالة ماجستير غير منشورة] .جامعة ذي قار.
الوردي ,علي . (١٤١٣هـ). *لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث*,ج١. مطبعة امير.
هروتي, سعدي عثمان. (٢٠١٢) . *دراسات أكاديمية في تاريخ كردستان الحديث* . دار غيداء للنشر والتوزيع .
ولستيد ,جيمس ريموند. (١٩٨٤). *رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا* (سليم طه التكريتي, مترجم). نشر وتوزيع مكتبة النهضة العربية .
ويلستد, جيمس ريموند .(٢٠٠٩). *رحلات في الجزيرة العربية* (محمد درويش,مترجم) . هيئة أبوظبي للثقافة والتراث .

Anderson, Gerald H..(1998). *Biographical Dictionary of Christian Missions,* xxviii. by permission of Macmillan Reference.
Encyclopedia Britannica .(1966). *vol.9*. Printed by INC.
Farmanfarmaian, Fatema Soudavar.“James Baillie Fraser in Mashhad or the Pilgrimage of a Nineteenth-Century Scotsman to the Shrine of the Imām Riḍā”. Journal of the British Institute of Persian Studies, *Vol. 34*,n.1 ,1996,pp.101-115.
https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/05786967.1996.11834559
Fraser, James Baillie.(1820). *Journal of a tour through part of the Snowy range the Himala Mountains and to the sources of the rivers Jumna and Ganges*, .Printed for Rodwell and Martin .

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

Fraser, James Baillie.(1821). *Narrative of a journey into Khorasān, in the years 1821 and 1822*. printed forLongman, Hurst, Rees, Orme, Brown, and Green.

Fraser, James Baillie.(1840).*Travels inKoordistan,Mesopotamia*,vol.I;vol.II. Printed by Samuel Bentley .

Fraser ,James Baillie.(1841*). Mesopotamia and Assyria from the earliest Ages to the present Time* . Oliver & Boyd.

Rapson, Edward James.(n.d). *Dictionary of National Biography, 1885-1900*[e-book].https://en.wikisource.org/wiki/Dictionary_of_National_Biography,_1885-1900/Grant,_Charles_(1746-1823).

Sciampacone, Amanda Christina Hui.(2008). *Filth Ruin and the colonial Picturesque James Baillie Fraser's Representations of Calcutta and the Black Hole Monument*, [unpublished master thesis].University of British Columbia .

Stephen, Leslie.(1889). *Dictionary of National Biography, vol 20*.Smith Elder & Co.

Toby ,Falk. "The Fraser Company Drawings " . RSA Journal , *Vol. 137*, No. 5389, Dec. 1988,pp.27-37. https://www.jstor.org/stable/i40066701

Wright, Denis. "James Baillie Fraser: Traveller, Writer and Artist 1783-1856". Journal of the British Institute of Persian Studies, *Vol. 32*,n.1. ,1994, Pp.125-134.
https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/05786967.1994.11834528

Wright , Denis.(13 ,1,2012). *James Baillie Fraser (1783-1856) 15th laird of Reelig traveler writer and artist*. https://iranicaonline.org/articles/fraser

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317